

المجوسية والمجوس

للدكتور على حسنى الخربوطلى
المدرس بقسم التاريخ

أسس الديانة المجوسية :

اشتهر الفرس — والجنس الآرى عامة — بأنهم ميالون إلى عبادة المظاهر الطبيعية ، فالسماء الصافية ، والضوء ، والنار ، والهواء ، والماء ينزل من السماء ، جذبت أنظارهم ، وجعلتهم يعبدونها ، على أنها كائنات إلهية ، وسمّوا الشمس « عين الله » والضوء « ابن الله » ، كما أن الظلمة والجذب ونحوهما كائنات إلهية شريرة ملعونة (١) .

عبد الفرس أول أمرهم ما عبده قدماء الآريين من قوى الطبيعة ، وخاصة الشمس التى تبدو لهم ظاهرة فى السماء ، وأسبغوا عليها صفات الألوهية ، واعتبروها أعظم الموجودات ، وأنها خير محصن . ووقف الفرس أمام آلهة الخير يستمدون منهم المعونة ، يتوجهون إليها بالصلاة ويقدمون لها الضحايا . ورأوا أن آلهة الخير فى نزاع دائم مع آلهة الشر ، وأعمال الإنسان ، من صلاة ونحوها ، تعين آلهة الخير فى منازلها آلهة الشر ، واتخذوا النار رمزا للضوء ، وبعبارة أخرى رمزا لآلهة الخير

«يشعلونها في معابدهم ، حتى تقوى على آلهة الشر وتنتصر عليها ، وكانت هذه النار منبعا لخيال شعري نخصب .

عرف الشهرستاني^(١) المجوس فقال : « المجوس وأصحاب الاثنيين المانوية وسائر فرقهم المجوسية ، يقال لهم الدين الاكبر والملة العظمى ، إذ كانت دعوة الأنبياء بعد ابراهيم الخليل عليه السلام في العموم كالدعوة الخليلية ولم يثبت لها من القوة والشوكة والملك والسيف مثل الملة الخنيفية إذ كانت ملوك العجم كلها على ملة ابراهيم ، وجميع من كان في زمانه كل واحد منهم من الرعايا في البلاد على أديان ملوكهم ، وكان لملوكهم مرجع هو مربذ . وبذا نألم العلماء وأقدم الحكماء يصدرون عن أمره ولا يرجعون إلا إلى رأيه ، ويعظمونه تعظيم السلاطين لخلفاء الوقت . وكانت دعوة بني اسرائيل أكثرها في بلاد الشام وما وراءها من المغرب ، وقل ما سرى من ذلك إلى بلاد العجم » .

الزرادشتية :

ظهر زرادشت — نبي الفرس — فدعا إلى تعاليم جديدة أسست على الديانة القديمة بعد إصلاحها . وزرادشت من قبيلة ميديا في شمال غربي فارس ، وظهر أمره نحو منتصف القرن السابع قبل الميلاد ، ومات نحو سنة ٥٨٣ ق . م . بعد أن عاش ٧٧ سنة ، وكان موطنه أذربيجان ، ولكن أول نجاحه كان في بلخ ، على أثر اعتناق الملك « بشتاسب » لدينه ، ثم انتشر دينه من بلخ إلى جميع أرجاء فارس .

وجوهر مبادئ زرادشت ، أن في العالم حوادث كثيرة متنوعة : فمنها الخير ومنها الشر ، وهذه الحوادث لا توجد نفسها ، بل لا بد لها من أصل

تستند عليه . ويرى زرادشت استحالة نسبة الخير والشر إلى أصل واحد . ولهذا كان من الضروري عنده لتغير مايجرى في العالم الإيمان بوجود قوتين متضادتين مختلفتين جوهرًا وفعلاً . فواحدة طاهرة مقدسة ، تفيض عنها الحياة والعناصر الطيبة وكل ما في الوجود من نور ، والآخرى خبيثة دنسة ، تصدر عنها الآفات والأمراض ، والهلاك والتدمير ، وكل ما ينزل بالإنسان من شر وبلاء . فالأولى تسمى (أهريمان) ومعناه إله الشر أو الشيطان . وقد ورد في كتبهم المقدسة : أن (مزدا) قال (لأهريمان) ما معناه وليس علمنا ، ولا شرائعنا ، ولا مداركنا ، ولا كلماتنا ، ولا أفعالنا ولا حياتنا ، أنا وأنت ، متفقة في شيء ، ولذا فنحن أضداد .

وبين هذين الإلهين - مزدا وأهريمان - عداة دائمة وحرب مستمرة . فهما يتنازعان الإنسان ويحاول كل واحد منهما أن يسكون له الغلبة دون صاحبه . ولكن في النهاية يسكون النصر لأهورا مزدا ، إله الخير والنور والقوة والحياة عندهم ، ويحمي جميع ما في العالم من شرور وقتل . جاء في كتاب (الملل والنحل) (١) . « زعموا أن الدنيا كانت سليمة من الشرور والآفات والفتن ، وكان أهلها في خير ونعيم خالص ، فلما وجد أهريمان حدوث الشرور والآفات والفتن » . وللفرق المختلفة آراء متباينة في وجود (أهريمان) وسببه وأصله وقدمه وحدوثه . وكان الفرس يعتقدون أن لكل واحدة من هاتين القوتين - مزدا وأهريمان - جنودا وأنصارا ، يأترون بأمرها وينفذون إرادتها في الوجود .

تحدث ' ماسبيرو ' في كتابه (تاريخ المشرق) عن مذهب الزرادشتية فقال : يرون أن مزدا قد خلق الأشياء بكلمة ، واتخذ لنفسه ستة أرواح

(١) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ٩٠ .

أو آلهة من طبقات عليا يعينونه على حفظ نظام العالم وتدير شئونه —
وهم المعروفون بأميثاسبتاس — وهؤلاء الآلهة اتخذوا لهم جنوداً من
الأرواح يحكمون عليهم . وهم منتشرون في الكون للمحافظة على بقاء أدله .
ودوران دولابه فجعل أهريمان — عكس ذلك — إله ظلمات وشرور ،
وعارض الآلهة الست بـسته أرواح شريرة تعاد لها في القوة والشوكة .
وهؤلاء جعلوا لهم أعواناً من الأبالسة، وهم لا ينفكون عن محاصرة الكون،
ومنع انتظام حركاته ، ولا يزال مستمراً بين هذه الأرواح المتكافئة في
العزيمة والبطش إلى انقضاء الزمن . ولا ينتهي كفاحها إلا بانقراض العالم ،
لذا يتم النصر لأهورا مزدا .

لزادشت كتاب مقدس يسمى (أفستا Avesta) وعليه شرح يسمى
(زندافست) قال المسعودي (١) : « واسم هذا الكتابات (أليستا) وإذا
عرب أثبتت فيه قاف فقبل (الايستاق) وعدد سورته إحدى وعشرون .
سورة تقع كل سورة في مائتي ورقة . . . وأنه كتب باللغة الفارسية الأولى .
وأن أحداً اليوم لا يعرف معنى تلك اللغة ، وإنما نقل لهم إلى هذه الفارسية
شيء من السور في أيديهم يقرءونها في صلواتهم ، في بعضها الخبر عن مبتدأ
العالم ومنتهاه ، وفي بعضها مواضع . »

وتحدث الشهرستاني (٢) عن هذا الكتاب المقدس فقال : وله كتاب
قد صنّفه وقيل أنزل ذلك عليه وهو (زندوستا) يقسم العالم قسمين (مينه) ،
(و كيتي) يعني الروحاني والجسماني ، والروح والشخص . وكما قسم الخلق
إلى عالمين يقول إن ماني العالم ينقسم قسمين (بخشش) و (كش) يريد به
التقدير والفعل وكل واحد مقدر على الثاني . ثم يتكلم في موارد التكليف

(١) مروج الذهب .

(٢) الملل والنحل .

وحركات الانسان فيقسمها ثلاثة أقسام : (منش) و (كونس) و (كنش) يعنى بذلك الاعتقاد والقول والعمل . وبالثلاث يتم التكليف ، فإذا قصر الانسان فيها خرج عن الدين والطاعة ، وإذا جرى في هذه الحركات على مقتضى الأمر والشريعة فاز الفوز الأكبر .

كان الفرس يدينون بالبعث والنشور ، ويؤمنون بالحياة الآخرة ، ويعتقدون ان روح الميت الصالح إذا فارقت الجسد استقبلها الديان في صورة فتاة حسناء تحفبها الأزهار ذات الرائحة الطيبة . وعندهم أن السراط فوق جهنم ، وأن الأشرار يقعون في نار جهنم ، ويعنى أهرمان وجنده وجميع من في الوجود من الأحياء ، ويبقى مزدا وسائر قوى الخير . ويرون أن نهاية العالم تتحقق عند اصطدام الأرض بكوكب نارى ، وعندئذ يجمع مزدا الخلائق ويعدهم بحياة جديدة .

من أبرز مبادئ زرادشت أن أشرف عمل للانسان الزراعة والعناية بالماشية ، فحب إلى الناس أن يزرعوا ويعتنوا بماشيتهم ، وأن يحدوا ويعملوا ، حتى أنه حرم على أتباعه الصوم لأنه يضعفهم عن العمل . ويرى أن الماء والهواء والنار والتراب عناصر طاهرة لا تنجس ، فقدس النار واتخذها رمزا ، وحرم تنجيس الماء الجارى ، وحرم دفن الموتى في الأرض .

وإلى جانب هذه التعاليم الدينية نرى للديانة الزرادشتية أبحاثا فيما وراء المادة ، ولكن لم يكن بحثهم فيها شاملا — كالذى كان عند اليونان — بل كان بحثاً جزئياً متفرقا ، كذلك نرى لهم في هذا خاصية تشبه التي كانت للعرب بعد الإسلام ، وهى امتزاج أبحاثهم — فيما وراء المادة — بالدين والتوفيق بينهما ، ولم يبحثوا فيها بحثاً مستقلا كما فعل اليونان مثلا^(١) .

فمن أبحاثهم الفلسفية بحثهم في النفس ، فالديانة الزرادشتية ترى أن نفس

(١) أحمد أمين : فجر الإسلام ص ١٠٣ .

الإنسان قد خلقها الله بعد أن لم تكن ، وتستطيع أن تنال الحياة الأبدية السعيدة إذا حاربت الشرور في العالم الأرضي ، وقد منحها الله حرية الإرادة فهي تستطيع أن تختار الخير أو الشر . وللنفس الإنسانية قوى مختلفة : (١) الضمير أو الوجدان (٢) القوة الحيوية (٣) القوة العقلية (٤) القوة الروحية (٥) القوة الواقعية . وهذا النوع من الفلسفة يجعل الحياة ميدان جد وعمل .

تساءل العلماء والفلاسفة : هل دين زرادشت ثنوى يرى أن العالم يحكمه الهان : إله الخير وإله الشر ، وأن لكل إله ذاتا مستقلة ؟ أم هو موحد يرى أن العالم يحكمه إله واحد وأن الخير والشر مظهران لإله واحد . يرى كثيرون أنه ثنوى ، وقد ذهب إلى هذا الرأي بعض كتاب الفرنج ، ومنهم من كتب في دائرة المعارف البريطانية مادة زرادشت ، ومنهم من يرى أنه موحد مثل الشهرستاني^(١) والقلقشندي^(٢) ويذكر الأستاذ هوج (Haug) أن زرادشت كان من الناحية اللاهوتية موحداً ، ومن الناحية الفلسفية ثنويا .

سادت الديانة الزرادشتية في بلاد فارس وماجاورها حتى انتصر الاسكندر المقدوني على الفرس سنة ٣٣١ ق . م فانحط شأنها . ثم نهضت في عصر الأسرة الساسانية التي ابتداء حكمها في البلاد سنة ٢٢٦ م وبقيت الزرادشتية دين الفرس حتى كان الفتح الإسلامي ، ففر بعض أتباعها إلى الهند حيث لا تزال طائفة (الفريسيين) منهم قائمة حتى الآن . وبقيت فئة فارس تقيم شعائر دينها وتوقد النار في المعابد في كل ولاية فارسية تقريباً من بعد انتشار الإسلام بنحو ثلاثة قرون للمجرة .

(١) الملل والنحل .

(٢) صبح الاعشى .

المانوية :

من أشهر المذاهب المانوية نسبة (ماني) مؤسس المذهب ، وهو رجل فارسي ولد سنة ٢١٥ او ٢١٦ م ^(١) . وكان لهذا المذهب أتباع كثيرون في آسيا وأوربا ، يتمسكون بمبادئه على الرغم من الاضطهادات ، إلى أواخر القرن ١٣ م (٥٧) .

التعاليم المانوية مزيج من الفلسفة الفارسية القديمة والمبادئ المسيحية ، وقد وصفها (براون) ^(٢) بأنها زردشتية منصرة أكثر منها نصرانية مزدشنة . يرى ماني أن العالم نشأ عن أصلين : النور والظلام . فنشأ عن النور كل خير ، وعن الظلام كل شر في العالم . وقد امتزج الخير بالشر امتزاجا تاما . وما يصدر عن الإنسان من خير فصدره الله الخير ، وما يصدر من شر فصدره الله الشر .

هذه التعاليم تشابه إلى حد كبير تعاليم زرادشت ، ولكنهما يختلفان في أمر جوهرى . ذلك أن زرادشت كثير الأمل في المستقبل ، فهو يتوقع أن يتغلب الخير على الشر وإن طال الأمر . ومن هنا أخذ (برجسون) الفيلسوف الإسرائيلي في العصور الأخيرة فلسفته ، ويتابعه فيها الفيلسوف الألماني (نيتشه) الذي ألف كتاب (زوراواستر) الذي أعجب به (هتلر) واتخذ منه مثالا لفلسفة ، حيث قال نيتشه بارادة القوة ، وأراد نيتشه معنويتها فعكسها هتلر إلى الفكرة المادية . وكان مستمد الاثنين — نيتشه وهتلر — في الحقيقة فلسفة (شوبنهاور) بمذهبه في الإرادة .

كان زرادشت متفائلا ، أما ماني فكان متشائما يائسا يرى أن هذا

(١) البيروني : الآثار الباقية .
Lit. Hist. of Persia. ٢٧

الامتزاج لا يخلص منه إلا بالموت. يرى زرادشت أن يعيش الإنسان حياة طبيعية ، فيتزوج وينسل ، ويعنى بزرعه ونسله وما شئته ويقوى بدنه ولا يصوم وأنه بهذه المعيشة ينصر إله الخير على إله الشر . أما ماني فإنه ينزع منزعا آخر هو أشبه ما يكون بالرهينة . وقد كان ماني — كما يقولون — راهبا بخران ، فرأى أن امتزاج النور بالظلمة في هذا العالم شر ، ومن أجل هذا حرم النكاح حتى يستعجل الفناء ، ودعا إلى الزهد ، وشرع الصيام سبعة أيام أبدا في كل شهر ، وفرض صلوات كثيرة ، يقوم الرجل فيمسح بالماء ، ويستقبل الشمس قائما ، ثم يقوم ويسجد وهكذا اثني عشرة سجدة ، ويقول في كل سجدة منها دعاء ، ونهى أصحابه عن ذبح الحيوان لما فيه من إيلا م ، وأقر بنبوة عيسى وزرادشت ، وقال إن (ماني) النبي الذي بشر به عيسى .

يرى ماني أن وجود الإنسان جناية جناها أهله ويجب انقراضه ، ويشابه أبو العلاء المعري تشابها كبيرا ، وفلسفة ماني فلسفة تشاؤمية تتفق مع فلسفة (شوبنهاور) في الصعور الحديثة . وأمر ماني أتباعه بعدة أوامر أو ذكرها الشهر ستاني (١) : « وقد فرض ماني على أصحابه العشر في الأموال والصلوات الأربع في اليوم والليلة ، والدعاء إلى الحق وترك الكذب والقتل والسرقة والزنا والبخل والسر وعادة الأوثان . وأن يأتي على ذي روح ما يكره أن يؤتى إليه بمثله . »

اعتنق هرمن ملك الفرس مذهب ماني وأيده ، ودخل في دينه كثير من الناس ، فلما مات هرمن وخلفه بهرام الأول لم يرتح إلى تعاليمه وقتله وشرده أصحابه ، ولكن لم تمت تعاليمه ، وكان لدينه أئمة يتعاقبون ، وكان مركز الإمام أولا في بابل ، ثم تحول إلى سمرقند .

(١) الملل والنحل .

المزديكية -

ظهر في القرن الخامس الميلادي (حوالي سنة ٤٨٧ م) رجل فارسي من أهل نيسابور دعا الناس الى مذهب ثنوي (ثنائي) جديد ، فكان يقول بانور والظلمة . ولكنه تميز بدعوته الى الاشتراكية المتطرفة أو الشيوعية . كان يرى أن الناس ولدوا سواء فليعيشوا سواء ، وأنه ليس هناك مبرر للفرقة بين شخص وآخر ، وأهم ما يجب فيه المساواة المال والفسل . كان مزدك ينهى الناس عن البغض والحسد والقتال ، وجعل علاج هذه الأمور أن يبيع النساء والأموال ، بل جعلها شركة شائعة بين الناس جميعا يشتركون في الماء والنار وللكلأ والهواء (١) .

تحدث الطبري (٢) عن المزدكية فقال : « قال مزدك وأصحابه إن الله جعل الأرزاق في الأرض ليقسمها العباد بينهم بالتأسي ، وليكن الناس تنظما فيها ، وزعموا أنهم يأخذون للفقراء من الأغنياء ، ويردون للمكثرين على المقلين ، وأن من كان عنده فضل من الأموال والنساء والامتعة ، فليس هو بأولى من غيره ، فافترض السفلة ذلك واغتنموه وكانوا مزدك وأصحابه وشايعوهم فابتلى للناس بهم ، وقوى أمرهم ، حتى كانوا يدخلون على الرجل في داره فيغلبونه على منزله ونسائه وأمواله ، وحلوا (قباز) على تزوين ذلك وتوعدوه بخلفه ، فلم يابثوا إلا قليلا حتى صاروا لا يعرف الرجل منهم ولده ولا المولود أباه ، ولا يملك الرجل شيئا مما يتسع به .. وكان مما أمر به الناس وزينه لهم وحشهم عليه ، للتأسي في أموالهم وأهلهم .. »

قارن الشهرستاني (٣) بين المزدكية والمناوية فقال : « إن قول المزدكية

(١) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ -

(٢) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٨٨ وما بعدها -

(٣) الملل والنحل ج ١ -

كقول كثير من المانوية في الكونين والأصلين ، إلا أن مزدك كان يقول ،
إن النور يفعل بالقصد والاختيار والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق ،
والنور عالم حساس والظلام جاهل أعمى ، وأن المزاج كان على الاتفاق.
والخطب لا بالقصد والاختيار ، وكذلك الخلاص إنما يقع بالاتفاق دون
الاختيار ... ومذهبه في الأصول والأركان أنها ثلاثة : الماء والنار والأرض .
ولما اختلطت حدث عنها مدبر الخير ومدبر الشر ، فما كان من صفوفهم مدبر
الخير ، وما كان من كدرها فهو مدبر الشر

اعتنق المزدكية آلاف من الناس إرضاء لشهواتهم ، ولكن قباذر كل
بمزدك وأتباعه ، فدبر لهم مذبحة سنة ٥٢٣ م . كاد يستأصلهم بها .
الديبانية :

أتباع ديسان ، ويقولون بأن للعالم أصلين : النور والظلام . فالنور
يفعل الخير قصدا واختيارا والظلام يفعل الشر طبعاً واضطراباً . والخير
مصدره النور والشر مصدره الظلام . والنور حى عالم قادر حساس ومنه
يكون الحركة والحياة . والظلام ميت جاهل عاجز وجما لا فعل ولا تمييز .
فرق مجوسية أخرى :

ترى فرقة المرقونية أن للعالم ثلاث أصول ، النور والظلمة والثالث .
هو المعدل الجامع ويعرفه الشهر ستاق^(١) بأنه « سبب المزايج » ، فإن المتنافرين
المتضادين لا يمتزجان إلا بجامع . . ويحرم المرقونية النكاح وذبح الحيوان
أما فرقة الكينوشية فتري أن الأصول ثلاثة : النار والأرض والماء . فالنار
مصدر الخير باعتبارها مضيئة ، والماء مصدر الشر لأنه يطفى النار ، والأرض

(١) الملل والنحل ج ١

وسط بين بين الإثنين . أما فرقة الصيامية فهم من أمسكوا عن طيبات الحياة وتفرغوا لعبادة النيران ، وأمسكوا عن النكاح والذبايح . . أما فرقة التناسخية فقالوا بتناسخ الأرواح في الأجساد ، وما يترتب على ذلك من راحة الروح أو تعبها ، فينبأ المحسن بالراحة ، ويعاقب المذنب بانتقاله إلى جسد آخر يلقى فيها التعب ، فكان هذه الأبدان هي الجنة والنار .

دوقف الأكاسرة الساسانيين من المجوسية :

يظن البعض أن الساسانيين لكثرة خوضهم غمار الحرب مع الروم أو الترك قوم لاهم لهم إلا الحرب مثل الآشوريين والأسبرطيين والترك العثمانيين . ولكن الحقيقة غير ذلك ، فإن عظمة الساسانيين الحقيقية تتجلى زمن السلم أكثر مما تتجلى زمن الحرب . لقد كان لهم سياسة داخلية مقررة بحكمة تدل على أن ملوكهم كانوا رجالا موفوري الحظ من الخبرة العملية بشؤون الناس وعلى علم تام بطلباتهم . فن أسس هذه السياسة عملهم على التمكين للنظام الملكي في فارس وجعله عقيدة تملك على الشعب الإيراني . لبه وقلبه على السواء ، فألقوا في نفسه أنه سلالة الملوك الكيانيين العظام الذين كانوا يحكمون في الأرض بتفويض من إله النور^(١) ،

كان الفرس ينظرون إلى ملوكهم كأنهم كائنات الهية اصطفاهم الله للحكم بين الناس وخصهم بالسيادة وأيدهم بروح من عنده ، فهم ظل الله في أرضه ، أقامهم على مصالح عباده ، وليس للناس قبلهم حقوق ، وللملوك على الناس السمع والطاعة . وهو معنى يشبه ما عرف في أوروبا بنظرية الحق الإلهي^(٢) وسادت فيها في القرنين السادس عشر والسابع عشر .

(١) المبدأي : صور من التاريخ الاسلامي ص ٨٩ .

Divine Right.

(٢)

حيذكر (براون^(١)) : « لم تعتنق نظرية الحق الإلهى بقوة كما اعتنقت في فارس في عهد الملوك الساسانية » . وقد كان الأكاسرة يزعمون أن لهم الحق وحدهم أن يلبسوا تاج الملك بما يجرى في عروقهم من دم إلهي^(٢) .

من الأسس التي عني بها الساسانيون لمصلحة الملك والرعية على السواء الدين . والدين الفارسي القديم هو الزرادشتية التي ظهرت قبل الدولة الساسانية بأزمان طويلة . ولقد أدرك الساسانيون القيمة العملية لهذه الديانة فعملوا من أول أمرهم على مناصرتها وجعلها الديانة القومية للأمة الفارسية ، فأنشأوا في كل مدينة ، بل في كل قرية ، بيوت النار حيث يعبد الناس النار ، مبعث النور الذي هو رمز الخير وطاردة الظلمة التي هي رمز الشر . وقد أدت تلك العناية بالدين الزرادشتي إلى رفع شأن رجاله المعروفين بالموبدين على سائر رجال الدولة .

فلما ظهر ماني ، ودعا إلى مذهبه ، وهو مذهب سلبى يرى الخير في الزهد وعدم الإنتاج والإمتناع عن الزواج والنسل ، فإن بهرام الأول (٢٧٣ - ٢٧٦م) تجرد لمحاربته فقتل ماني وكنل بأصحابه شر تنكيل وقد قابل رجال الدين الزرادشتي هذا الصنيع من الساسانيين بأن أيدوا سلطانهم السياسى بمالهم على الشعب من نفوذ وروحى عظيم .

ومن المبادئ المقررة في سياسة الساسانيين الداخلية المحافظة التامة على النظام الاجتماعى الفارسي القديم القائم على الأسرة والملكية ، فلما ظهر مزدك في أوائل القرن الخامس ، ودعا إلى نحلته الشيوعية الهادمة لنظامى الأسرة والملكية ، وافتن بها العامة ، فإن كسرى أنوشروان تجرد لمحاربة

(١) Hist. of Persia

(٢) أحمد امين : فجر الاسلام ص ١١١ .

تحلته ، ففضى على مزدك وأتباعه كما قضى من قبل بهرام الأول على مانى وأصحابه (١) .

إن انتصار الدولة الفارسية للزرادشتين والمبالغة فى رفع أقدار رجالها قد أدى فى نهاية الأمر إلى قيام طبقة كهنوتية متعصبة مستبدة لا تعرف الرق بالناس فى مسائل الدين ، ولا التسامح نحو أهل الديانات الأخرى التى كان يعتنقها فى فارس جماعات كبيرة .

يرى (أرنولد) (٢) أن مما أثار غضب الأهالى الفرس وجعلهم ينظرون إلى حكاهم نظرة تنطوى على الكراهية والبغضاء ، أن هؤلاء الحكماء كانوا يناصرون ديانة زرادشت التى غدت دين الدولة الرسمى ، والتى كانت من قبل بغیضة عند الأهالى ، ويفسحون المجال لـكهنتها ، حتى أصبح لهم نفوذ كبير فى الدولة ، وصاروا على جانب عظیم من القوة فى مجالس الملك وادعوا أن لهم نصيباً كبيراً فى إدارة الشؤون المدنية ، واستغلوا نفوذهم فى اضطهاد كل الديانات المخالفة لهم . فإلى جانب هذه الجماعات الكثرية من معتقدى المذاهب الفارسية القديمة ، كانت هناك طوائف من المسيحيين واليهود والصابئة وأحزاب مختلفة . تأثرت بتأملات الأوربيين والبوذيين والمناوية . وقد أثار هذا الاضطهاد شعور الكراهية المريرة الذى أحسه الشعب الفارسى نحو هذا الدين الذى تغلغل فى بلاد الفرس ، ونحو تلك الدولة التى وقفت من ذلك الاضطهاد موقف الرضا والتشجيع ، كما كان ذلك علة ذلك الانتصار الذى حالف الفتح العربى ، وجعله يظاير فى صورة تخليص الأهالى الفرس مما أصبحوا فيه .

لماذا اضطهد الساسانيون المناوية ؟ دعا بهرام إلى قتل مانى وأصحابه

(١) رانولد : الدعوة إلى الإسلام ص ٢٣٦ .

(٢) العبادى ص ٩١ .

الناحية العملية ، فقد كان زرادشت يدعو إلى العمال ، وكان في تعاليمه مؤيدا للقومية والنزعة الحربية ، مما يتفق وميول فارس إذ ذاك ، وعلى العكس من ذلك تعاليم ماني ، فهي أميل إلى الزهد والرغبة عن ملاذ الحياة واستعجال الفناء ، وهي - ولاشك - في منتهى الخطورة لعمالكة حرية كفارس .

المجوس في عصر الخلفاء الراشدين والامويين .

لم يكبد منتصف القرن السابع الميلادي حتى كانت الأسرة الساسانية قد سقطت ، ودخلت في حوزة المسلمين تلك الإمبراطورية الفارسية الشاسعة ، التي ناهضت روما وبرزنطة أربعة قرون . ولما تشتت شمل جيوش الدولة الفارسية . لم يلق المسلمون مقاومة تذكر من الشعب الفارسي الذي كان قد استبد بحكمه ممثلو الدولة الساسانية في أواخر أيامها استبدادا يتميز بكثير من ضروب الفوضى والظلم .

رأينا كيف غضب الفرس لمناصرة الحكام الساسانيين لديانة زرادشت وافساح المجال لسكرتها حتى أصبح لهم نفوذ كبير في الدولة ، ثم اضطهدوا كل الديانات الأخرى . ولذا نرى الفرس بعد انتصار المسلمون يتنفسوا الصعداء : فأقبلوا يرحبون بالعرب ، حبا في الخلاص من ظلم الحكام أولا ، ورغبة في اعتناقهم من الخدمة العسكرية ثانيا ، ثم أملا في تمتعهم بالحرية الدينية آخر الأمر ، وذلك لأن الإسلام كان يبيح لغير المسلمين من يهود ومسيحيين ، ومن زرادشتيين وصابئة أن يتدينوا بما يرضون لأنفسهم من دين . على أن يدفعوا للمسلمين الجزية . ولقد قيل إن الرسول أوصى بالزرادشتيين خيرا وأمر المسلمين أن يعاملوهم معاملة أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى ، وأن تؤخذ منهم الجزية كذلك كفاء حمايتهم . ويرى أرنولد أن هذا الحديث قد ذاع في القرن الثاني للهجرة حين تلمس المسلمون حديثا نبويا يبيح

التسامح الدينى فى معاملة أهل الديانات المختلفة الأخرى التى وجدها العرب فى البلاد التى فتحوها ، سواء أدخل معتنقوا هذه الديانات فى عداد أهل الكتاب أم لم يدخلوا .

لم يكتف العرب الفاتحون بإسقاط الدولة الساسانية ، بل أزالوا نظام الطبقات والدين اللذين كانا مسيطرين فى إيران قبل الإسلام ، فلم يبق من المعتنقين للزرادشتية القديمة إلا قليل من الأتباع يسمون « كبر » أو « پارت » و عدد قليل . على أن الإسلام لم يكن خالياً من تأثير فيهم أيضاً ، فإن وحدة الإله التى جاء بها الإسلام انتصرت على العقائد الزرادشتية القديمة . وزالت عادة زواج الأب من البنت والأم من الإبن والأخ من الأخت التى تبعها الزرادشتية ولو أن الإيرانيين وبالأخص الـ « كبر » لم يحجموا مدى القرون الوسطى عن ادعاء « عدم وجود الزواج من الأقارب فى العقائد المجوسية » فى فارس مخالفين بذلك الحقيقة الواقعة .

وصفت كثير من الأمور التى ترجع إلى تاريخ فارس قبل الإسلام فى صور جميلة كهذه ولكنها بعيدة عن الحقيقة وقد كانت عظمة قصور الساسانيين وشوكة دولتهم ، وعقل الملوك والوزراء وتديبرهم ، وحضارة البلاد ، موضع إعجاب الفرس المسلمين و غبطتهم دائماً . ولقد انفقوا أنواعاً من شجرات النسب الخيالية ليصلوا رجال الإسلام العظام بتاريخ الساسانيين بأى شكل ^(١)

ضاع استقلال فارس بالفتح العربى الإسلامى ، وأصبحت ولاية عربية إسلامية ووقع كثير من الفرس فى أيدي العرب أسرى واسترق « بعضهم ووزع على العرب ، ودخل كثير من الفرس فى الإسلام ، وتعلم كثير منهم اللغة العربية ، حتى كان منهم فى الجيل الثانى من يتكلم العربية كأحد

(١) بارنولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ص ٩٥ .

أبنائها ، ولكن برغم هذا كله لم يربحوا في جمالتهم كالعرب في عقيدتهم ، ولا كالعرب في مطامعهم وطموحهم ونزعاتهم ، ولا كالعرب في عقليتهم بل اعتنقوا الاسلام فصبغوه بصبغتهم الفارسية ، ولم يتجردوا من كل عقائد الدين القديم وتقاليده ، ففهموا الاسلام بالقدر الذى يسمح به دين قديم اعتنقه قومه أجيالا ونشأ فيه ناشئهم وشب عليه ، وكذلك تعلم الكثير منهم العربية ولكن لم يترك خياله الفارسى . ولم ينس ما كان لقومه من شعر ومثل وحكمة .

كان من أثر ذلك طبيعيا أن تدخل تعاليم في الاسلام جديدة ، ونزعات دينية جديدة ، ظهر أثرها فيما بعد ، وأظهرها في الاسلام التشيع والتصوف ، وكان من أثر ذلك أيضا أن يغمر الأدب العربى بالحكم والقصص الفارسية (١)

لم يتخذ المسلمون الحروف العربية وحدهم بل اتخذوا الزرادشتيون أيضا ، فنشأت لغة فارسية حديثة ومحتوية على كثير من الكلمات العربية . أما بقايا الآداب الفهلوية القديمة فقد كثر الغلط في فهمها ، لأنها فهمت بصعوبة كثيرة وبدراسات العلماء الأوروبيين (٢)

كانت لغة الفرس في عهد الدولة الساسانية هي اللغة الفهلوية ، وهذا الذى هو شرح للأفستا مكتوب بهذه اللغة ، وكان لهذا الكتاب الدينى أثر فى حفظها . ولكن لم يصل إلى عصرنا هذا كثير من ثروة الفرس الأدبية الفهلوية التى كانت منتشرة فى الدولة الساسانية وصدر الإسلام والسبب فى ذلك أن دين الاسلام ظفر بدين زرادشت وحل محله ، كما حلت اللغة العربية والحروف العربية محل اللغة الفهلوية والحروف الفهلوية ، فذهب الحكومة الفارسية ودينها ، وحكمها بالعرب ، وتحولها من ملكة إلى ولايات إسلامية ، ودخول كثير من الفرس فى الاسلام ، واضطرأهم إلى تعرف

(١) احمد أمين : فجر الاسلام ص ٩٨ .

(٢) بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ص ١٩٩ .

اللغة العربية ، للدين أو الدنيا أولهما معا ، وازدراء المسلمين لبيوت النيران التي هي شعائر الثنوية ، كل هذا عرض الديانة الفارسية واللغة الفهلوية للاضمحلال ثم الفناء (١) .

رحب سكان المدن ، وخاصة الصناع وأصحاب الحرف وأهل الطبقة العاملة بالدين الاسلامي ، واعتقه عدد عظيم منهم في حاسة كبيرة وذلك لما تتطلبه أعمالهم من تركهم ديانة زرادشت وتقبيح عبادة النار والأرض والماء ، وهم الذين كان ينظر اليهم أمام القانون باحتقار وازدراء ، ولما في اعتناقهم الاسلام أيضا من تركهم في الحال أحراراً ومساواتهم في المذهب الديني .

لم يكن إرتداد الفرس الزرادشتيين عن ديانة زرادشت بالأمر الصعب ، فقد تبع سقوط الأسرة الساسانية تدهور هذه الديانة ، حتى إنه لم يعد لاتباعها هناك مركز يجتمعون حوله ، فوجدوا السبيل سهلاً ميسوراً لتدينهم بالإسلام . ويرى أرنولد (٢) أن تشابه الإسلام والزرادشتية في بعض الوجوه قد مهد الطريق أمام الزرادشتيين لاعتناق الإسلام . فالفارسي يستطيع في رأي أرنولد — أن يجد في القرآن كثيراً من التعاليم الأساسية في ديانته القديمة وإن كان ذلك بصورة مختلفة كثيراً . وبعبارة أخرى فإنه يعادل بدل إسم (أهورمزدا) و (أهرمان) في ديانته القديمة إسم الله- وإبليس في القرآن ، كما يجد أيضاً أن الله خلق العالم في ستة أيام ، ويقرأ عن الملائكة والشياطين ، كما يقرأ قصة براءة الإنسان القديم ، وبعث الجسد بعد الموت ، والاعتقاد بوجود الجنة والنار . بل هناك تشابه في تفصيلات العبادة اليومية ، فأصبح على أتباع زرادشت بعد اعتناقهم الإسلام أنه

(١) أحمد أمين : فجر الإسلام ص ١١٣ .

(٢) الدعوة إلى الإسلام ص ٢٢٧ .

يؤدوا على وفق تعاليم دينهم الجديد ، الصلاة خمس مرات في اليوم كما كانوا يفعلون من قبل على وفق كتابهم الديني القديم المسمى (أفستا) . وكانت هذه القبائل التي تقيم شمال فارس ، والتي قاومت النظام السكسي لدين الدولة الرسمي في عناد مستمر بحجة أن كل شخص كان قسيسا في بيته ، وأنه لم يكن به من حاجة لأى واعظ آخر ، ثم لاعتقاده بوجود كائن أعظم وبخلود الروح، ولأنه عرف أن الانسان يجب أن يحب الخير لجاره، وأن يكبح جماح شهواته ويسعى في صبر وأناة إلى حياة أفضل ولا غرو فإن أمثال هؤلاء الناس ليسوا بحاجة الى كثير من الاقناع لهم على قبول الإسلام^(١) .

والى جانب هذا العامل الديني الذي أدى الى سرعة انتشار الاسلام بين الفرس والمجوس ، كان ثمة عامل آخر ، هو الشعور السياسى والوطنى للشعب الفارسى . فقد تأثروا بزواج الحسين بن على من (شاهبانو) إحدى بنات يزوجرد وآخر ملوك الأسرة الساسانية . وقد رأى الفرس فى أولاد شاهبانو والحسين وارثين لملوكهم الأقدمين ، كما رأوا فيهم ورثة لتقاليدهم القومية . وهذا الشعور الوطنى يفسر لنا تعلق الفرس الشديد بعلى ابن أبى طالب من جهة ، كما يفسر لنا ظهوره فى فارس حزبا منفصلا من جهة أخرى .

يؤكد أرنولد^(٢) أن القوة والعنف لم تكن السبب فى اتساع نطاق تحويل الناس إلى الاسلام ، بدليل هذه المعاملة التى عامل بها العرب من ظل من الفرس على تمسكه بدينه القديم . ولا يزال إلى الآن فى بعض جهات فارس بعض جماعات صغيرة من عبدة النار . ومع أنهم قاسوا فيما بعد كثيرا من الاضطهادات ، كان أسلافهم فى القرون الأولى للهجرة يتمتعون بقسط وافر من الحرية . وبالنظر إلى الحقائق التاريخية السابق ذكرها يكون من المستحيل

(١) يشارك أرنولد فى هذا الراى ايضا كل من دوزى ودى جوبينو .

(٢) الدعوة الى الاسلام ص ٢٢٨ .

قطعاً أن نقول إن انضمام ديانة زرادشت كان سببه أن الفاتحين المسلمين استعانوا بالقوة على حل الناس على اعتناق الاسلام . من المحتمل أن يكون عدد أهالي فارس الذين اعتنقوا هذا الدين في السنين الأولى من الحكم العربي كبيراً جداً للأسباب المختلفة التي ذكرناها . بل إن في بقاء مذهبهم القديم وما أثر عن ارتداد الناس عنه تدريجياً في خلال القرون المتتابعة مما يقوى في نفوسنا مذهبنا اليه من احتمال تدينهم الاسلام بمحض اختيارهم وفي جو من الهدوء والسلام .

أما عن معاملة المسلمين للمجوس من الناحية المالية ، فقد اختلف المؤرخون في اعتبار المجوس من أهل الكتاب . فالماوردي^(١) يذكر أن « أهل الكتاب هم اليهود والنصارى وكتابتهم التوراة والانجيل ويجرى المجوس مجراهم في أخذ الجزية منهم وإن حرم أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم . وتؤخذ من الصابئة والسامرة إذا وافقوا اليهود والنصارى في أصل معتقدهم ، ويؤكد البلاذري^(٢) أن المجوس من أهل الكتاب ، فيروى أن عمر بن الخطاب جلس إلى بعض صحابة الرسول فقال : ما أدرى كيف أصنع بالمجوس ؟ فوثب عبد الرحمن بن عوف فقال : أشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (سنوا بهم سنة أهل الكتاب) أما الشهرستاني^(٣) فذكر أن المجوس لهم شبهة كتاب ، ولكن الثابت تاريخياً أن الرسول صالح مجوس أهل هجر على أن يأخذ منهم الجزية^(٤) فذكر أبي عبيد^(٥) « كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مجوس هجر ، يدعوهم إلى الاسلام ،

(١) الاحكام السلطانية ص ١٢٧ .

(٢) فتوح البلدان ص ٢٧٦ .

(٣) الملل النحل ج ١ ص ٤٨ .

(٤) أبو يوسف : الخراج ص ٧٤ .

(٥) الاموال ص ٢١ .

فمن أسلم قبل منه ومن لا ضربت عليه الجزية ، على أن لا تؤكل له ذبيحة ولا تنكح له امرأة . كما صالح الرسول أهل البحرين ومعظمهم من المجوس ، وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي وبعث أبا عبيدة بن الجراح ليجتمع الجزية منهم ^(١) .

روى أبو يوسف : « عن علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر أخذوا الجزية من المجوس . قال علي كرم الله وجهه : وأنا أعلم الناس بهم ، كانوا أهل كتاب يقرأونه ، وعلم يدرسونهُ فنزع من صدورهم » .

كان أخذ الجزية من المجوس واعتبارهم من أهل الكتاب سببا لاثارة كثير من الجدل والنقاش ، فروى أبو يوسف ^(٢) « أن فروة بن نوفل الأشجعي قال : إن هذا لأمر عظيم ، يؤخذ من المجوس بالجزية وليسوا بأهل كتاب ؟ قال : فقام إليه المستورد بن الأحنف فقال : طعنت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتب وإلا قتلتك والله . وقال : قد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مجوس أهل هجر الجزية ، قال : فارتفعنا الى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فقال : سأحدثك بحديث ترى ضيانه جميعا عن المجوس : إن المجوس كانوا أمة لهم كتاب يقرأونه ، وأن ملكا لهم شرب حتى سكر فأخذ بيد أخته فأخرجها من القرية واتبعه أربعة رهط فوقع عليها وهم ينظرون إليه ، فلما أفاق من سكره قالت له أخته إنك صنعت كذا وكذا وفلان وفلان وفلان وفلان ينظرون اليك . فقال : ما علمت بذلك . فقالت : فانك مقتول ولا نجاه لك إلا أن تطيعني ، قال : فإني أطيعك ، قالت : فاجعل هذا ديننا وقل هذا دين آدم ، وقل حواء من آدم ، وادع

(١) الاموال ص ٢٣ .

(٢) الخراج ص ١٢٩ .

الناس اليه واعرضهم على السيف فمن تابعتك فدعه ومن أبى فأقتله ففعل ، فلم يتابعه أحد فقتلهم يومئذ حتى الليل . فقالت له : إني أرى الناس قد اجترؤا على السيف وهم على النار لكع فأوقد لهم نارا ثم اعرضهم عليها ، ففعل ، فهاب الناس النار فتابعوه . قال علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه : فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخراج لأجل كتابهم وحرّم منّا حكمهم وذبحناهم لشركهم .

وكان هناك من المسلمين من يرى أن المجوس ليسوا من أهل الذمة فلا يجوز أخذ الجزية منهم . فروى أبو عبيد^(١) أن أبا موسى الأشعري قال : لولا أنى رأيت أصحابي يأخذون من المجوس الجزية ما أخذتها . وكتب عمر ابن عبد العزيز إلى الحسن يسأله : ما بال من مضى من الأئمة قبلنا أقروا المجوس على نكاح الأمهات والبنات ؟ وذكر أشياء من أمرهم قد سماها . فكتب إليه الحسن : أما بعد ، فإنما أنت متبع واست بمبتدع . وكتب عمرو ابن الحرث إلى ربيعة بن عبد الرحمن يسأله عن المجوس : وكيف يثبت عليهم الجزية ؟ وكيف تركوا مشركى العرب ؟ فكتب ربيعة : قد كان لك فى أمر من قد مضى ما يغنيك عن المسئلة عن مثل هذا .

ظل الولاة الأمويون يجمعون الجزية من المجوس مثل سائر أهل الذمة ، وقد حفظ أبو يوسف^(٢) لنا خبر أخذ عدى بن أرطاة عامل الخليفة عمر بن عبد العزيز فى العراق الجزية من المجوس .

يرى كل من المرحوم الأستاذ عبد الحميد العبادى ، والمرحوم الأستاذ أحمد أمين أن أباذر الغفارى كان متأثراً فى بعض مبادئه ببعض آراء مزدك . فيقول الأستاذ العبادى^(٣) : وعندى أن حركة أبى ذر الاشتراكية تمت

(١) الاموال ص ٢٦ .

(٢) الخراج ص ١٢١ .

(٣) صور من التاريخ الإسلامى ص ١١٤ .

بسبب قوى إلى حركة مزدك الشيعوى الذى ظهر بفارس على عهد قباد
وكسرى أنوشروان ، والذى كاد يقلب نظام المجتمع الفارسى رأسا على عقب
لولا عزم أنوشروان وحزمه .

أما الأستاذ أحمد أمين^(١) فيقول « تلح شبه بين رأى أبى ذر الغفارى
وبين رأى مزدك فى الناحية المالية . » ويؤيد رأيه برواية للطبرى^(٢) جاء فيها
عن أبى ذر أنه « قام بالشام وجعل يقول : يامعشر الأغنياء واسوا الفقراء ،
بشر الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله بمكاول نار
تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك
وأوجبه على الأغنياء ، وحتى شكوا الأغنياء ما يلقون به والناس . » ويتهم
للطبرى أبى ذر بأنه تلقى تعاليمه عن عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء ،
وكان يهوديا من صنعاء تظاهر بالإسلام فى عهد عثمان بن عفان . وحاول
أن يفسد على المسلمين دينهم ، وبث فى البلاد عقائد كثيرة ضارة ، ونشر
مبادئه فى الحجاز والبصرة والكوفة والشام ومصر . ويعلق الأستاذ أحمد
أمين على آراء أبى ذر ، فيقول : فمن المحتمل القريب أن يكون قد تلقى هذه
الفكرة من مزدكية العراق أو اليمن ، واعتنقها أبو ذر حسن النية فى اعتقادها
وصبغها بصبغة الزهد التى كانت تبجح إليها نفسه ، فقد كان من أتقى الناس
وأورعهم وأزهدهم فى الدنيا ، وكان من الشخصيات المحبوبة التى
أثرت فى الصوفية ،

تميز العصر العباسى بشيوع لفظ « الزندقة » وارتباطه بالمجوسية فى
معظم الأحيان ، وإن كان هذا اللفظ قد شاع فى أواخر العصر الأموى
إلا أن ذلك كان على نطاق محدود . فى العصر الأموى ، اتهم عبد الصمد

(١) فجر الإسلام ص ١١٠ .

(٢) الطبرى ح ٥ ص ٦٦ .

ابن عبد الأعلى مؤدب الوليد بن يزيد بن عبد الملك بالزندقة في العصر الأموي، وأتهم الوليد بن يزيد كذلك، كما كان الجعد بن درهم الذي ينسب إليه مروان ابن محمد آخر خلفاء بني أمية، فيقال مروان الجعدي زنديقا . وقد ذكر ابن النديم ^(١) « أن الجعد كان مؤدبا لمروان ولولده، وأنه أدخله في الزندقة وكان خالد بن عبدالله القسوى، على الرغم من اتهامه بالزندقة شديدا على الزنادقة، حتى أنه حبس الجعد بن درهم وقتله يوم عيد الأضحى في عهد هشام ابن عبد الملك الأموي .

ويرجع السبب في عدم انتشار الزندقة في العصر الأموي، أن الدولة الأموية كانت دولة عربية دما ولحا، فالخليفة عربى يختار ولايته من العرب، ويحرص على صبغ الدولة في شتى النواحي بالصبغة العربية . بينما الموالى في منزلة أدنى بكثير من العرب . ليس لهم من أمر الدولة شيء . والعرب لا تعرف الزندقة كثيراً ولا تميل إليها، فهم مطمئنون إلى ملكهم وإلى دينهم . فلما قامت الدولة العباسية انتعش الموالى وخاصة الفرس، وأصبح أكثر الساطن في أيديهم، وغلبوا على العرب، وقد كانت لهم ديانات سابقة لم ينسوها جميعها لما اعتنقوا الإسلام، وكانوا لا يجرءون في الحكم الأموي أن يرفعوا أصواتهم، فكان مهمهم الأول أن يتحرروا سياسيا لادنيا، فكانت دعوتهم السرية واجتماعاتهم وتدابيرهم للسياسة لالدين، والزندقة إنما هي في الدين لا في السياسة، فلما نجحوا واطمأنوا وغلبوا بدأت تلعب في رؤسهم الديانات القديمة والجديدة فكانت الزندقة .

تميز العصر العربى الأموى بتعصب العرب على الموالى والفرس . ومن أسباب تعصب العرب غيرتهم على الإسلام واللغة العربية . أما غيرتهم على الإسلام : فقد شعر العرب في قرارة نفوسهم أن بعض الموالى لم يعتنقوا الإسلام لاقتناعهم بمبادئه القويمة، ولكن لمصالح شخصية ذاتية . فيذكر

كريم^(١) أن بعض الموالى ظلوا مخلصين في قرارة نفوسهم لمعتقداتهم الدينية القديمة ، وقبلوا الإسلام ظاهرياً فقط . ويقول ديمومبين^(٢) إن الملاك من الموالى إعتنقوا الإسلام ليخضعوا للنظام الإسلامى ولكنهم احتفظوا بدينهم وعاداتهم .

المجوس في العصر العباسى :

كانت هناك دوافع سياسية لثورات الموالى الفرس على الحكم الأموى العربى . فقد ظهر بين الموالى الفرس نزعة قومية تدفعهم إلى إحياء المجد الفارسى القديم ، وفى ذلك يقول ابن حزم^(٣) : « إن الفرس كانوا من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر فى أنفسهم حتى أنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأبناء ، وكانوا يعدون سائر الناس عبيداً لهم . فلما أمتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب ، وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطراً ، تعاظمهم الأمر وتضاعفت لديهم المصيبة ، وراموا كيد الإسلام بالمحاربة » .

ظهرت حركات الزندقة فى العصر العباسى الأول بصورة خطيرة ، تهدد كيان الدولة العباسية والمجتمع الإسلامى ، فتعاليم الزندقة تبعد تماماً عن تعاليم الإسلام وعقائده ، وتقوم على نوع من الديمقراطية الفاسدة ، التى تبيع المحرمات وتعبث بالآداب الاجتماعية ، وتعرض الحياة السياسية والاجتماعية للانحيار .

اختلف معنى الزندقة على مر العصور ، فقد كان العرب يطلقون لفظ

(١) الحضارة الإسلامية ص ٧٤ .

(٢) النظم الإسلامية ص ٧٤ .

(٣) الفصل فى الملل ح ٢ ص ١١٥ .

زنديق على من ينفي وجود الله سبحانه وتعالى أو ينكر حكمته ، أو يقول إن له شريكاً . وقيل إن الزنديق من يبطن الكفر ويظهر الإيمان . وكان لفظ زنديق يطلق أول الأمر على كل من يتأثر بالفرس في عاداتهم وحضارتهم ويسرف في العبث والمجون . ثم صار يطلق بعد ذلك على كل من يتخذ عقائد المانوية شعاراً له ، ويتمسك بعقيدة التنوية ، وعبادة إلهين اثنين ، واتباع تعاليم ماني ، ثم توسعوا في العصر العباسي في إطلاق لفظ الزندقة ، فأصبح يطلق على من ينكر الألوهية أو يتظاهر بالظرف^(١) ويرى الأستاذ أحمد أمين^(٢) أن كلمة الزندقة لم تكن ذات معنى واحد ، وإنما كانت تطلق على معان أربعة (١) التبتك والاستهتار والفجور مع تبجح في القول ، يصل أحياناً إلى ما يمس الدين ، ولكن قائله لم يقفه عن نظر ، وإنما قاله عن خلاعة ومجون . (٢) إتباع دين المجوس ، وخاصة دين ماني ، مع التظاهر بالإسلام ، كالذي أنهم به بشار وحاد وابن المقفع (٣) إتباع دين المجوس وخاصة ماني ، من غير التظاهر بالإسلام كالذي يرويه الجاحظ عن كتب الزنادقة . (٤) ملحدون لا دين لهم ، كالذي يحكيه المعري . ولكن يبدو أن الكلمة — أكثرها كانت — تطلق على من اعتنق المانوية باطنياً والإسلام ظاهراً ، ثم توسعوا في معناها فأطلقوها على الأباحي ، والملحد الذي لا دين له .

كانت الكوفة — التي ظهر منها الدعاة العباسيون — في مستهل القرن الثاني للهجرة مهداً لتشيع متطرف غير إسلامي . وهكذا لم يلبث الإسلام أن أصبح خليطاً من ديانات شتى ، على أثر اتصاله بالديانات والعقائد التي كانت سائدة في بلاد العراق قبل ظهور الإسلام (كديانة الفرس القدماء

(١) حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ج ٢ ص ١٠٥

(٢) محيى الإسلام ج ١ ص ١٦١ .

Parsees والمناوية والصابئة وغيرها) . وذلك للتوفيق بينه وبين تلك الديانات المختلفة . وكان الدعاة يقومون بنشر الدين الإسلامى بين الناس بحماس وحمية رغم هذا التغير الذى طرأ عليه فى ذلك الحين ويدافعون عنه بإخلاص وغيره . يدل على ذلك ما كان الحكم بالإعدام على كثير من الغلاة والمبتدعين منذ أيام على بن أبى طالب إلى عصر المنصور العباسى^(١) .

ارتبطت الزندقة بالمجوسية عامة والمناوية خاصة . فالجاحظ الذى عاش عصر المأمون تحدث عن كتب الزندقة فوصفها وصفاً دقيقاً ، يشابه تماماً ما نعلمه عن كتب المناوية . ثم جاء الأصفهاني بعده (+ ٣٤٨ هـ) فتحدث عن الزنادقة فى كتابه الأغاني^(٢) فقال إنهم « كانوا يعرفون بالثنوية وعبادة إلهين اثنين ، واتباع تعاليم مانى » . كما أن ابن النديم فى كتابه (الفهرست) يذكر أن كلمة الزنادقة كانت تطلق على أصحاب مانى ومعتنقى مذهبه ، وليست كلمة عامة تطلق على كل كافر أو ملحد .

أما من الناحية اللغوية ، فيذكر الجوهري فى الصباح : الزنديق من الثنوية وهو معرب ، والجمع الزنادقة ، وقد تزندق ، والاسم الزندقة . وجاء فى لسان العرب . « الزنديق القائل ببقاء الدهر ، فارسى معرب (زَنْدَكَر) أى يقول ببقاء الدهر . ويرى البعض أن كلمة زنديق فى الأصل معناها بالفارسية الذى يتبع زند ، ثم أطلق على المناوية ، لأنهم كانوا يأخذون زند وغيره من الكتب المقدسة ، ويشرحونها على مذهبهم بطريقة التأويل .

كانت الدوافع الى الزندقة فى العصر العباسى مختلفة متنوعة ، فقوم دعاهم إليها دين ألفوه قديماً وهو دين المجوسية . وكان لهم فيه آباء عديدون

(١) فان فلوتن : السيادة العربية ص ٩٦ . (٢) الأغاني ح ٣ ص ٧٢ و ٨٦ .

وكانت لهم عادات وتقاليدها أخذها الخلف عن السلف ، ولكنهم أسلموا ليصلوا إلى المناصب الكبرى ، دون أن يدخل الإيمان قلوبهم ، واتخذوا الإسلام ثياباً ظاهرياً يخلعونها إذا خلوا إلى أهلهم ، وهم إذا أمكنتهم الفرصة كادوا للإسلام والعرب ، ودعوا للشعوبية والمجوسية ^(١) .

من الأسباب التي أدت إلى انتشار الزندقة ، أنها كانت وسطاً بين النصرانية والزرادشتية ، أتباع زرادشت أحد أبناء الفرس ، وأن ذلك كان سبباً في تأثير الزندقة في أهل هذه النحل ، كما أن شعائرها كانت قريبة الشبه بشعائر الإسلام ، فإن المانوي كالمسلم له عدد من الصلوات في اليوم والليلة (أربع أو سبع) ، كما كانت لهم طهارة قبل الصلاة كالوضوء عند المسلمين .

وأشهر أنواع الزنادقة في العصر العباسي من كانوا يتظاهرون بالإسلام بينما هم لا يزالون على الدين الفارسي وهو المجوسية ، وخاصة مذهب ماني . ذلك أنه كان في ذلك العصر طائفة لم تؤمن بالإسلام ولكن آمنت بسلطانه ، ورأت أن لا سبيل لنيل الجاه والسلطان والمال إلا بالإسلام فاعتنقته ظاهراً وظلت تخلص لدينها القديم . وقوم من هؤلاء كان لهم غرض أعمق من هذا ، إذ رأوا أنهم لا يستطيعون إفساد العقيدة الإسلامية إلا بالإلتساب إليها أولاً حتى يؤمن جانبهم ، وحتى يسهل على النفوس الأخذ بقولهم ، ثم هم بعد ينفثون تعاليمهم على أشكال مختلفة ، طوراً في العلم والدين ، وطوراً في الأدب ، وطوراً في وضع مثالب العرب ، ومن حين لآخر كان يعثر على بعضهم فينكل بهم ، ولكنهم لا يبيدون ، أحياناً يعملون أفراداً ، وأحياناً يعملون جماعات .

من هؤلاء الزنادقة : عبد الكريم بن أبي العوجاء الذي وضع ألف

حديث نبوى مكذوب واعترف بجريمته فقتله المنصور . وحماة الراوية الذى أفسد الأدب واللغة . وصالح بن عبد القدوس الذى دسّ معاني الزندقة فى الأشعار . ويونس بن أبى فروة الذى ألف كتابا فى مثالب العرب والإسلام ليتقرب به إلى ملك الروم . وكان هؤلاء وأمثالهم يتزندقون تزندقا علييا ، فهم يدينون بمائى أومزدك ، ويؤمنون بالنور والظلمة ، وبعبارة عامة يدينون بدين المجوس عن علم ، ثم يتظاهرون بالإسلام تقية ، أو توسلا إلى إضلال الناس ^(١) .

تفشّت الزندقة فى عهد الخليفة العباسى المهدى ، فأنشأ ديوانا عهد به إلى رجل أطلق عليه «صاحب الزنادقة» وأمره بالقضاء عليهم ومحو تعاليمهم ، وألف المهدى ابنه موسى الهادى بتتبع الزنادقة ووضع الكتب للرد عليهم . وأوصى حقيقة الزنادقة ومبادئهم ، وهى : « يابنى ، إن صار لك هذا الأمر فتجرد لهذه العصاة — يعنى أصحاب مائى — فإنها مرقعة تدعو الناس إلى ظاهر حسن ، كاجتناب الفواحش والزهد فى الدنيا والعمل للآخرة ، ثم تخرجها إلى تحريم اللحم ومس الآلهة الطهور وترك قتل الهوام تخرجها وشحوبا ، ثم تخرجها من هذه إلى عبادة اثنين ، أحدهما النور والآخر الظلمة ، ثم تبسح بعد هذا نكاح الأخوات والبنات والاغتسال بالبول وسرقة الأطفال من الطرق ، لتقدم من ضلال الظلمة إلى هداية النور . فارفع فيها الخشب ، وجرد فيها السيف ، وتقرب بأمرها إلى الله لا شريك له . فإنى رأيت جدك العباس فى المنام قلدى سيفين ، وأمرنى بقتل أصحاب الاثنين ، ^(٢) »

لم تقتصر الزندقة على الفرس ، بل اعتنقها بعض العرب ، ومنهم صالح

(١) أحمد أمين : ضحى الإسلام ج ١ ص ١٥٧ .

(٢) الطبرى ج ١٠ ص ٤٢ .

ابن عبد القدوس ، ومطيع بن أبياس الشاعر الذي عاش في عصر المنصور والمهدى . على أن الناس في العصر العباسي أفرطوا في الرمي بالزندقة . وكانت الخصومة السياسية والدينية والأدبية سبباً في الرمي بالزندقة .

من أشهر حركات الزنادقة المرتبطة بالمجوسية في العصر العباسي: الراوندية والمقنعية ، والخرمية . أما الراوندية فقد ظهرت في عهد أبي جعفر المنصور ونادى زعيمهم الأبلق أن الروح التي كانت في عيسى صارت في علي بن أبي طالب ثم الأئمة إلى إبراهيم بن محمد (سبط العباس عم النبي) وأنهم آلهة ، واستحلوا الحرمات . وفي عهد أبي جعفر المنصور أعلنوا أنهم يعبدونه . وقاوم المنصور الراوندية وسجن عدداً منهم ، فتجمع باقي الراوندية واقتحموا السجن وأطلقوا سراح زملائهم ، وخرج المنصور بنفسه لقتالهم وكاد يقتل^(١)

كان المنصور ينظر إلى الراوندية كأعداء سياسيين للدولة العباسية ، لأنهم من أتباع عدوه اللدود أبي مسلم الخراساني الذين يعملون على تحريك الخلافة إلى ملك كسروي ، كما كان ينظر إليهم باعتبارهم زنادقة ، يريدون أن تعود المجوسية أو شكل من أشكالها ، كالزرادشتية أو المانوية أو المزدكية أو غيرها ، فعاملهم كما عامل أبا مسلم وقتلهم شر قتلة . إلا أنه لم يستطع مع ذلك أن يقضى عليهم قضاء تاماً ، فظهروا في صور مختلفة نراها في مثل ثورات المقنع الخراساني وبابك الخرمي وغيرهما^(٢) .

المقنعية : في عصر الخليفة العباسي المهدى (١٥٨ - ١٦٩ هـ) ظهر في خراسان رجل قبيح الخلقة كان يضع على وجهه قناعاً من ذهب ، ولذا كان يسمى المقنع ، ادعى الألوهية ، وزعم أن الله خلق آدم فحول في صورته ، ثم في صورة نوح ، ثم إلى صورة إبراهيم ، ثم إلى صورة الأنبياء على التوالي

(١) الطبري ح ١٠ ص ٣٠٧ .

(٢) حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ح ٢ ص ٩٤ .

ثم إلى صورة أبي مسلم الخراساني ، ثم إلى صورته هو ، وزعم أنه يتنقل في الصور ، لأن عبادته لا يستطيعون رؤيته على طبيعته وإلا احترقوا بنوره . وأسقط المقتنع الصلاة والزكاة والصوم والحج وأباح للناس الأموال والنساء ، وأمر رعاياه باعتماد التعاالم المزدكية ، وأمرهم بعبادته والسجود له .

استطاع المقتنع أن يجمع حوله بعض السذج من أهالي بخارى وسمرقند والأتراك الذين كانوا يقيمون حول بحر قزوين ، واعتظم بقلعة منيعة ، فبعث الخليفة المهدي بجيش كثيف حاصر القلعة بما فيها من متاع ودواب ، ثم أذاب النحاس والسكر في تنور ، وجمع نساءه وأولاده ، وطلب من أحب من أصحابه أن يلقوا بأنفسهم في النار ليرتفعوا إلى السماء . وقال لهم إنني صاعد إلى السماء فمن أراد يصحبني فليشرب من هذا الشراب . وسقام شراباً مسموماً شرب هو منه ، فماتوا جميعاً ، وألقى نساءه وأولاده في النار ، ثم ألقى بنفسه فيها سنة ١٦٩ هـ .

من حركات الزندقة المتصلة بالمجوسية حركة الخرمية البابكية نسبة إلى بابك الذي ادعى الألوهية في عهد الخليفة العباسي المأمون . وكانت طائفة الخرمية قد أسسها مزدك في عهد قبادز أني كسرى الأول المعروف بأنوشروان ، ولذا كانت تسمى الخرمية المزدكية تمييزاً لها عن الخرمية البابكية .

يرى البعض أن اسم الخرمية نسبة إلى (خرما) امرأة مزدك التي اضطلعت بنشر عقائد هذا المذهب بعد مقتل زوجها . أما (فان فلوتن)^(١) فيرى أن هناك صلة بين اسم الخرمية الذي قد يكون مشتقاً من (خرم) وهو اسم لمدينة بيلاد ميديا ، أو كلمة (خرم) ومعناها (لذيذ) . فإذا ما تكلمنا عن (خرم دينيا) تحدثنا عن لا يعرفون ديناً غير اللذة . وقد

جعلت هذه الطوائف للنساء مكانة أرقى من مكاتهن في البلاد الشرقية وأباحت لهن الظهور في المجتمعات الدينية بقصد الإستمتاع بظهورهن في تلك الإجتماعات .

من مبادئ الخرمية البابكية تحويل الملك من العرب المسلمين إلى الفرس المجوس ، وكانهم بهذه المبادئ يحاربون الإسلام والعروبة . فيذكر المؤرخ المقدسي (١) : (فإن الخرمية احتالوا في إزالة الملك إلى العجم ، فهووا هذه النحلة وزينوها للجهال ودعوا إليها في السر ، وعصول أمرهم التعطيل والإلحاد . كما يقول المقدسي عنهم أيضاً : (٢) وهم فرق وأصناف غير أنهم يجمعهم على اختلاف شرائعهم وأديانهم يحصلون على روح واحدة ، وأن الوحي لا ينقطع أبداً ، وكل ذي دين مصيب ما لم ير كيد نخلتهم وخسف مذهبهم ويعظمون أمر أبي مسلم ، ويلعنون أبا جعفر على قتله ، ويكثررون الصلاة على فيروز ، لأنه من ولد فاطمة بنت أبي مسلم . ولهم أئمة يرجعون إليهم في الأحكام ورسلي يدورون بينهم يسمونهم (فريشتكان) ، ولا يتبركون بشيء مثل تبركهم بالخمر والاشربة . وأصل دينهم القول بالنور والظلمة . ووجدنا منهم من يقول بإباحة النساء . وإباحة كل ما يستلذ النفس وينزع إليه الطبع .

وتحدث نظام الملك في كتابه (سياسة نامه) عن تعاليم الخرمية فقال :
رفض الخرمية جميع الفروض الدينية كالصلاة والصيام والزكاة والحج ، وأباحوا لأنفسهم شرب الخمر والمحرمات وشيوعية النساء ، وهى مبادئ مزدك . وعملوا جهدهم للقضاء على الإسلام قضاء تاماً . كما أنهم لم يشعروا بأى ميل أو عاطفة لإزالة أحد من أهل البيت ، وإن كانوا قد اتخذوا من

(١) البلد والتاريخ ج ٥ ص ١٢٤ .

(٢) المراجع السابق ج ٤ ص ٣٠ - ٣١ .

أسمائهم سبيلاً إلى جذب الأنصار إليهم ، لنشر دعوتهم التي ترمي إلى هدم الإسلام .

كان بابك تابعاً لجاويدان أحد زعماء الخرمية ، فلما مات جاويدان ، عينت زوجته بابك في منصب زوجها وزعمت أن روح جاويدان حلت في جسد بابك ، وأمرت الخرمية بطاعته ، ومالبثت أن تزوجت منه . وتمكن بابك في عهد الخليفة المأمون أن يسيطر على أذربيجان ومعظم بلاد إيران وتحالف مع ملك أرمينية وإمبراطور الدولة البيزنطية ، وأنضم إليه قطاع الطرق والجند المرتزقة وأتباع النحل الزائفة ، وبلغ عدد فرسانه عشرين ألف فارس عدا المشاة ، وكان يضطهد مخالفيه بقسوة ، وبلغ عدد من قتلهم . في رأى المقدسى ، مليون نسمة ، وهزم عدة جيوش للخليفة .

هرب بابك إلى سهل بأرمينية وتبعه سهل بن سنباط حتى تمكن من اعتقاله وسلمه للأفشين قائد الخليفة المعتصم الذي أسرع يبشر الخليفة بالنبأ ، فدقت طبول الفرح ، وضج الناس بالتكبير ، وبعثت الكتب إلى الأنصار تنبئهم بهذا الفتح والنصر . ووصل الأفشين بأسيره إلى سر من رأى سنة ٢٢٣ هـ ، وسجد المعتصم عند رؤية بابك شكر الله ، وانتهى أمر بابك بتعذيبه بتقطيع أطرافه ثم قتله وصلبه (١) .

لعل أخطر ثورات الزنادقة في العصر العباسي ، ثورة الأفشين في عصر الخليفة المعتصم ، وقد قام بثورته بالتجالف مع المازيار رئيس فرقة الحمرة . وهى فرقة من فرق الخرمية أتباع بابك الخرمى .

كان مبدأ ظهور المازيار في عصر المأمون ، فقد ولاه بعض أطراف طبرستان وسماه محمداً . ولكنه في عهد الخليفة المعتصم اتصل بابك الخرمى

وعرض عليه مساعدته في ثورته ضد الخليفة العباسي . ثم طلب المازيار البيعة من الناس ، فلم يقبلوا على بيعته ، فأكرههم على البيعة ، وأخذ منهم الرهائن ، وحرّض عمال الأراضى الزراعية على أصحابها والقيام بالسلب والنهب ^(١) .

اتهم المازيار فرصة انشغال الدولة العباسية بحرب بابك الخرمي ، فاتصل به وبالأفشين سرّاً ، وعمل ثلاثهم على نحو الإسلام والتخلص من حكم العرب . فهذه الثورة وأمثالها كانت في مواقع ثورة دينية سياسية معاً ، يراد بها الاستقلال عن الدولة العباسية ، وهى في نفس الوقت حركة شعبية ، تعمل على حط شأن العرب وإزالة دينهم ودولتهم ^(٢) .

نجح المازيار في إشعال نيران الثورة في الأطراف الشرقية من الدولة العباسية . وكرس المعتصم جهوده للقضاء على هذه الفتنة الجاحقة ، وتوسكن بعد جهد من القبض على المازيار وصلبة في مدينة سمرّ من رأى بجوار جثة بابك . وذكر المسعودي ^(٣) أن المازيار بعد أن قبض عليه « أقر على الأفشين أنه بعثه على الخروج والعصيان ، لمذهب كانوا اجتمعوا عليه ، ودين اتفقوا عليه من مذاهب الثنوية والمجوس » .

أما الأفشين فوطنه الأصلى بلاد أشروسنه أحد أجزاء بلاد ما وراء النهر وكان هو وأبوه في خدمة المعتصم ، وقاد الأفشين فرقة من الجيش الذى غزا عمورية ، وأبلى بلاء حسناً فقربه الخليفة إليه ، وعهد إليه بحرب بابك الخرمي .

كان الأفشين كما كان بابك والمازيار من قبله -- يسعى إلى الاستقلال ببلاده ، والخروج على الإسلام والدولة العباسية معاً ، كما كان يعتقد أنه

(٢) مروج الذهب ج ٢ ص ٢٥٤ .

(١) الطبرى ج ١٠ ص ٢٤٩ .

لا سبيل إلى نصره المجوسية إلا على أيديهم . ويقول (براون) إن الأفشين لم يكن في ميوله ونشأته الفارسية أقل وطنية وعطفاً على الفرس من هذين الرجلين الذين جمعاه في نهايته المخزنة .

أبدى الأفشين تعصبه لوطنه ، وكرهيته للعروبة والإسلام . أما تعصبه لوطنه ، فقد كان يرسل كل ما يصله وهو يحارب بابل ، من مال أو هدايا إلى بلاده ^(١) . أما كراهيته للعرب والإسلام . فقد عبر عنها في قوله : « إنى قد دخلت لهولاء القوم (العرب) في كل شيء أكرهه ، حتى أكلت منهم الزيت ، وركبت الجمل ، ولبست النعل ، غير أنى إلى هذه الغاية » يعنى لم يطل ولم يختن . وكان الأفشين يقول عن العرب : « العرب بمنزلة الكلب » أطرح له كسرة ثم أضرب رأسه بالدبوس ، ^(٢) . وقد وجدوا في داره أصناماً كان يعبدها ، كما وجدوا كتب الزنادقة ، وكان يأكل الحيوانات المخنوقة زاعماً أن لحماً أرطب من المذبح ، وكان لا يذبح على طريقة المسلمين ، فيأتى في كل يوم أربعاء بشاه فيقطعها بسيفه من وسطها إلى نصفين ، وكان يكتب رسائله إلى قومه ويبدأها بعبارة : « من إله الآلهة إلى عبده فلان » ، كما ترك الأفشين الاختتان .

عقد الخليفة المعتصم محاكمة للأفشين ، وتولى الخليفة بنفسه رئاسة المحكمة ، وانضم إليه الوزير محمد بن عبد الملك الزيات ، والقاضى بن أبى دؤاد ، وحضرها كثير من كبار شخصيات الدولة العباسية . ووجهت المحكمة اتهاماتها للأفشين ، وهى تدور حول النقاط السابق لنا تعدادها ، ومنحته المحكمة فرصة الدفاع عن نفسه بعد توجيه كل إتهام على حدة . وقد انتهت المحاكمة بالحكم على الأفشين بالسجن ، فظل به فترة ومات فى سجنه ، وقبل مات مسموماً ، ثم أخرجت جثته ،

(٢) الطبرى ح ١٠ ص ٣٦٦ .

(١) الطبرى ح ١٠ ص ٣٦٣ .

فصلبت ، وأحرقت مع الأصنام التي وجدت في داره ، وذلك في عام ٢٢٦ هـ^(١) .

علق وليام ميور^(٢) على محاكمة الأفشين فقال : « إن المحاكمة تبين بجلالة كيف تمسك أهالي ولايات الدولة العباسية الشرقية بدينهم الوثني ، وذلك لبعدهم عن مركز هذه الدولة ، ولأن الإسلام لم يكن قد وصل إلى قلوبهم ، ثم لتحصنهم في بلادهم المنيعه ، وقربهم من الأتراك الوثنيين . وقد خلص (ميور) من ذلك برأى هو أن إسلام بعض أهالي فارس إنما كان إسلاماً ظاهرياً ، وأنهم كانوا لا يزالون متمسكين بعقائدهم المجوسية القديمة ، وأنهم كانوا ينتهزون الفرصة المواتية ليرتدوا عن الإسلام ، ويعودوا إلى دينهم القديم . ومصادق ذلك ما رأيناه من ظهور هذه الحركات التي أشعل نيرانها سببناذ المجوسى ، وأنصار أبى مسلم الخراسانى وبابك الحرمى .

يذكر (بارتولد^(٣) أن الطاهريين ٢٠٥١ - ٢٦٠ هـ = ٨٢١ - ٨٧٣ م كانوا أول أسرة إسلامية من أصل فارسي ، لم يكونوا ينظرون إلى الأدب الفارسي نظرة طيبة ، ويرون العناية به مخالفة للدين . ولكن ازدياد نشاط المانوية لا في خراسان التابعة لهم مباشرة لحسب ، بل في البلاد الأخرى أيضاً (كانت السلطنة العسكرية في بغداد بيد أحد الطاهريين بعد انتقال الخلفاء إلى سامرا) أدى إلى ازدهار الحضارة عامة وازدهار الحضارة الإيرانية خاصة . وفي أيامهم انتقلت عاصمة خراسان من مرو إلى نيسابور التي صارت في مدة وجيزة إحدى مراكز الحضارة . وكانت مدينة بهق - اسمها الحالي سبزوار - أهم مراكز الدعاية الشيعية ، وقد أنجبت كثيراً من العلماء والكتاب منذ القرن ٣ هـ .

(١) تاريخ الطبرى ح ١٠ ص ٣٦٥ - ٣٦٧ ، ابن الأثير : الكامل ح ٦ ص ١٩٠ .
The Caliphate, p. 518. (٢)

(٣) تاريخ الحضارة الإسلامية ص ١٠٠

في أواخر القرن الثالث الهجري : نهاية ٨ م : أسلم سامان أمير بلخ وكان زردشتياً وأسس مملكة إسلامية هي الدولة السامانية ، وفي سنة ٨٧٣م دخل جمع كبير من أهل الديلم الزردشتيين في الإسلام على يد ناصر الحق أبي محمد ، وفي سنة ٩١٢م دعا الحسن بن علي — من الأسرة العلوية التي كانت تحكم الشاطيء الجنوبي لبحر قزوين — أهل الديلم وطبرستان إلى الإسلام ، فاستجاب معظمهم ، وكان بعضهم وثنيين والبعض الآخر زرادشتيين ، وفي سنة ٣٩٤ هـ = ١٠٠٣ م اعتنق الشاعر المشهور مهيار الديلمي الإسلام على يد الشريف الرضي ، وكان من عبدة النار . وقبله وفي أوائل القرن الثاني للهجرة (أوائل ٨ م) خرج من الزرادشتيين إلى الإسلام عبد الله ابن المقفع ، وقد بقي بعض الزرادشتيين في فارس إلى اليوم ، وقد قدر بعضهم عبدة النار فيها من عهد قريب بنحو ٨٥٠٠ نسمة .

عمل الملوك السامانيون على انتعاش الأدب الإيراني ٢٦٢ - ٣٦٨ هـ = ٨٧٥ - ٩٩٦ م) خاصة وقد انتقل الحكم في خراسان وفي تركستان من حكم الطاهريين إلى السامانيين . وقد جذبت عاصمتهم بخارى كثيراً من الشعراء والعلماء ، فصارت الدولة السامانية من أعظم الدول نظاماً في القرن الرابع الهجري . نشأ السامانيون في بلخ وكانوا إيرانيين . وكانت اللغة الفارسية هي اللغة الرسمية في أيام معظم هؤلاء الحكام ، ولكنهم اهتموا أيضاً باللغة العربية . وفي عهدهم ترجم تفسير الطبري إلى الفارسية ، وأقنى الناس بجزالة الصلاة باللغة الفارسية ، وادعى علماء الدين بأن الأنبياء الأوائل حتى اسماعيل جد العرب كانوا يتكلمون الفارسية . وكان شعراء إيران المنشدين في قصور الملوك السامانيين يذيعون آراء لا تتفق مع الإسلام . فالشاعر الرودكي السمرقندي كان يقول : « لا معنى لتحويل الوجه إلى القبلة والقلب منجذب إلى القدسية المجوسية . ويجب الإيمان بحب الإله العام لجميع الأديان ، فإن إلهك يقبل حبك ولكن لا يقبل صلاتك » .

وكان ينادى ببعض التعاليم المجوسية ، فيزعم أن السماء والارض هما أبو الإنسان وأمه . أما الشاعر الديق الذي حاول نظم الأساطير الإيرانية فقد صرح بعلاقته بالعقيدة الزردشتية قائلا : أنه يفضل الخمر وشفتى حبيبته ودين زرادشت على كل شيء آخر . أما أبو الريحان البيروني (٣٦٣ - ٤٤٠ هـ) المعاصر لابن سينا ، فقد أظهر تعصبة للفرس أثناء حديثه عن الحضارات السابقة للإسلام وهدم العرب لها ، وأبدى محبة للمانوية ^(١) .

تحدث (أرنولد) ^(٢) عن تحول المجوس الى الاسلام فقال : على الرغم من قلة المعلومات التي وصلت إلينا عن تحول المجوس إلى الاسلام ، فيبدو أن انتحالمهم لهذا الدين كان بمحض ارادتهم ، كما يظهر أن أتباع ديانة زرادشت قد تمتعوا بوجه عام بالحرية الدينية إلى نهاية العصر العباسي . حتى إذا جاء الغزو المغولي بدأ في تاريخهم عصر أكثر إظلاما من العصر الذي سبقه . ويبدو أن ألوان البؤس التي لحقت بالمسلمين من الفرس أنفسهم قد ولدت في نفوسهم روح التعصب الديني وعرضت أتباع زرادشت من حين إلى حين لتحمل الآلام التي تنطوي على القسوة .

عومل المجوس في القرن الرابع الهجري كأهل ذمة ، فكان لهم كاليهود والنصارى رئيس يمثلهم في قصر الخلافة وعند الحكومة . ويقارن (آدم متز) ^(٣) . بين هذه الطوائف الثلاث فيقول : أما اليهود فأنهم استطاعوا أن يستقنوا مركزهم السياسي من خلال الاتحاد المفلتك الذي كان للامبراطورية البابلية رغم ما تعرضوا له من مخاطر وتقلبات . أما

(١) بارتولد : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١٠٩

(٢) النعوة الى الاسلام ص ٢٤٠ .

(٣) الحضارة الاسلامية في القرن ٤ هـ ص ٦٠ - ٦١ .

المجوس فهم بقية لعدو باسل مستقل لم يتم التغلب عليه في موطنه البعيدة المثال . أما النصارى فقد كانوا من قبل يخضعون لحكم الساسانيين على ما يشبه حال أهل الذمة ، وكانت الظروف التي عاشوا فيها أقسى عليهم من غيرهم وأقل حفظاً لمصالحهم من اليهود أو من الشعوب في الولايات المستولى عليها من الروم . وكانت الرئاسة بين المجوس واليهود وراثية ، وكان رؤسائهم يلقبون بلقب الملك ، وكانوا يدفعون الضرائب لرؤسائهم خلافاً لما كان الحال عليه بالنسبة للنصارى . وقد قال بطريرك البعاقبة في مجلس له مع الخليفة : إن رؤساء المجوس واليهود حكام دنيويون ، وإنه هو رئيس روحى ، ولا يستطيع إلا فرض العقوبة الروحية ، كأن يحكم بعزل القسس والأساقفة من مناصبهم ، أو يمنع العلمانيين من حضور البيعة .

كان عدد المجوس كبيراً في العراق في القرن الرابع الهجرى ^(١) وخاصة في جنوب فارس . وفي سنة ٥٣٦٩ = ٩٧٩م وقعت فتنة عظيمة بينهم وبين عامة شيراز من المسلمين ، ونهبت في هذه الفتنة دور المجوس ، وغضب عضد الدولة لما نزل بالمجوس وعاقب كل المعتدين عقاباً صارماً ^(٢) وكانت شيراز مدينة هادئة ، وقد عجب المقدس من أنه لم يرها على مجوسى رداء يميزه عن غيره ، وكانت الأسواق تزين في أعياد المجوس : وتركز المجوس في فارس في مدينة القرينين في المفازة التي بشرق فارس ، وكانت حرقهم الرئيسية كرى الخير ^(٣) .

(١) القنسى ص ١٢٦ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٥٢٢ .

(٣) قدامه : الخراج (طبعة ليدن) ص ٢٠٩ .